IJSSP

المجلة الدولية لنشر الدراسات العلمية
المجلد السابع – العدد الثالث – البحث ارابع (ص: 55 - 99)
15 – كانو ن الأول – 2020 م

www.ijssp.com ISSN: 2707-5184 International Journal of Scientific Studies Publishing

[ثنائية التعدّد والاشتراك الدّلالي في حروف الجر، بين النيابة والتّضمين والاستعارة التّبعية]

[إعداد الباحثة: خولة التادلي]

[أستاذة التعليم الثانوي، باحثة في سلك الدكتوراه، اللسانيات وقضايا اللغة العربية]

[الأستاذ المشرف: د. محمد الشكيري، رئيس المركز الجامعي لتعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها]

[جامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط . المغرب]

ملخص الدراسة

تثير حروف الجرّ في اللّغة العربية إشكالات عديدة، نظرا لتعدّد السياقات الّتي ترد فيها، من جهة، ولاشتراكها في الإحالة على الدّلالات والمعاني نفسها، من جهة أخرى. إذ نجد لحرف الجرّ الواحد استعمالات عدّة، مثل استعمال حرف "الباء" لتحقيق معنى "الظّرفية"، أو"السّببية"، أو"المصاحبة"، و"اللام" لتحقيق معنى "الملكية"، أو "السببية"، أو"الغاية".. كما تشترك حروف الجرّ العديدة في إفادة المعنى ذاته، مثل اشتراك حرف "الباء"، و"الكاف"، و"اللام"، في تأدية معنى "التّعليل"، واشتراك "من"، و"الباء" و"عن" في تحقيق معنى المجاوزة . يفسّر النّحاة والبلاغيون العرب القدماء، ظاهرة التعدّد والاشتراك الدّلاليين في حروف الجر تفسيرات، منها: 1. استعارة الحرف الّذي يتعدّى به الفعل لمعنى الحرف الّذي كان ينبغي أن يتعدّى به، على طريقة الاستعارة التبعية. 2. تضمين الفعل معنى فعل آخر يتعدّى بحرف الجرّ المذكور، وذلك لإعطاء مجموع المعنيين بإيجاز واختصار. 3. نيابة حرف جرّ عن آخر إذا تقارب المعنيان وأَمِنَ اللُّبسُ.

الكلمات المفتاحية: التعدد الدلالي . المشترك اللفظي . حروف الجر . التناوب . التضمين النحوي . الاستعارة التبعية

IJSSP

المجلة الدولية لنشر الدراسات العلمية
المجلد السابع – العدد الثالث – البحث ارابع (ص: 55 - 99)
15 – كانو ن الأول – 2020 م

www.ijssp.com ISSN: 2707-5184 International Journal of Scientific Studies Publishing

[The Duality of Polysemy and Semantic Convergence of the Prepositions, between Prosecution and Inclusion and Prepositions's Metaphor, Comparative Semantic Study]

Abstract

This research treats many semantics issues raised by prepositions in languages. It is about the multiplicity of contexts in which prepositions appear. And their participation together to achieve the same meanings. The ancient Arab Grammarians and Rhetoricians explained the phenomenon of polysemy and semantic convergence of the prepositions, in three different interpretations, which are: prosecution and inclusion and prepositions's metaphor. We will work on individualizing these three perceptions, explaining that this problem is not limited to the use of prepositions in Arabic language only, but it exceeds it to many other languages, such as french, and english. By studying the contexts in which prepositions appear, for example, in French and English, we find the multiplicity of uses of the same letter. For example, in French, the letter "a" may indicate the meaning of "the place", "accompanying", "property" or other meanings. In English, the letter "by" may indicate the meaning of "space", "time", or "the manner". The same applies to all letters in the languages mentioned. In both languages, we find a semantic convergence, which means that many different prepositions achieve the same meanings. This is such as "Par", "Pour" and "de" which report the same significance: "property" or "reasoning" in French. And "of", "for" and "with" which report the same significance: "causation" in English.

Keywords: Prepositions, Polysemy, Semantic Convergence, Prosecution, Inclusion, Metaphor

IJSSP
المجلة الدولية لنشر الدراسات العلمية
المجلد السابع – العدد الثالث – البحث ارابع (ص: 55 - 99)
15 – كانو ن الأول – 2020 م
www.ijssp.com ISSN: 2707-5184 International Journal of Scientific Studies Publishing

المقدمة

التعدّد الدّلالي في حروف الجرّ، ظاهرة عرفت اهتماما كبيرا من قبل النّحاة العرب القدماء. إذ تثير حروف الجرّ، على المستوى الدّلالي، إشكالات عديدة، نظرا لتعدّد السياقات الّتي ترد فيها، ونظرا لاشتراكها مع بعضها في الإحالة على الدّلالات نفسها. يفسر النّحويون القدماء هذه الإشكالية في باب المجاز، وباب المشترك اللّفظي، والتعدّد الدلالي. كما يفسّرها بعض النّحاة، منهم سيبويه، في باب التوسّع، معتمدين على نظرة جزئية لمعنى الحرف في تركيب البنية العربية. نعالج في هذا الفصل، بعضا من هذه الإشكالات، باعتماد ما جاء في بعض مصادر البلاغة والنّحو العربي القديم، عن حروف الجرّ في اللّغة العربية.

أهداف البحث

يمكن حصر الأهداف الأساسية للبحث في دراسة ظاهرة التعدّد والاشتراك الدّلاليين في حروف الجرّ. والمقارنة بين تفسير النّحاة والبلاغيين العرب القدماء للظاهرة، وكذلك التميز بين مصطلحات متعلقة بالظّاهرة، وهي: النيابة والتضمين والاستعارة التبعية في حروف الجر، وكشف أحكامهما في النّحو والبلاغة.

أهمية الدّراسة

تكمن أهمّية دراستنا هذه في أنها مقاربة لظاهرة التعدّد الدلالي في حروف الجر، دراسةً نحويةً، بلاغيةً ودلاليةً، بغية تقديم طرح عامّ يفسّر التّعالق بين المعاني، في إطار نظرة شمولية لما يمكن أن يدلّ عليه حرف الجرّ، بوجه عام. وخصوصا في مستوى ربط العلائق الدّالّة سواء بين استعمالات الحرف الواحد وتأويلاته، وكذلك في مستوى الدّلالة الّتي توحّد بين حروف متعدّدة.

إشكالية البحث

يتأسس الموضوع على إشكالية رئيسة، يمكن افتراضها بمجرد تأمل العنوان. وتتفرع عن هذه الإشكالية مجموعة من الأسئلة، من بينها:

- ما الدّلالات الّتي تحقّقها حروف الجرّ في البنية العربية؟
- هل ينفرد كلّ حرف جرّ بتحقيق دلالة واحدة؟ أم له مجموعة من الدّلالات؟
- هل تختصّ كلّ دلالة بحرف جرّ واحد دون غيره؟ أم تشترك في تحقيقها حروف جرّ عدّة؟
- كيف يفسر أهل النحو والبلاغة ظاهرة التعدد والاشتراك في دلالات حروف الجرّ؟
- هل تتعلق إشكالية التعدد والاشتراك في الدّلالة بالنيابة أم بالتّضمين؟ أم بهما معا؟
- ما حكم التضمين والنيابة في النحو العربي القديم؟ أ هما قياسيين أم سماعيين؟ وهل يدخلان في باب الحقيقة أم المجاز؟ أم أن لهما فصل ثان خاص بهما في اللّغة العربية؟

IJSSP
المجلة الدولية لنشر الدراسات العلمية
المجلد السابع – العدد الثالث – البحث ارابع (ص: 55 - 99)
15 – كانو ن الأول – 2020 م
www.ijssp.com ISSN: 2707-5184 International Journal of Scientific Studies Publishing

الدراسات القبلية

غنية عن البيان، الدراسات القبلية، الّتي تفرّدت بالبحث في دراسة حروف المعاني، وحظيت حروف الجر فيها بمساحات لا بأس بها، من قبيل:

- حروف الجر: دلالاتها وعلاقاتها، لإبراهيم سليمان.
- حروف الجر وأثرها في الدلالات، لمحمد طيب فانكا.
- من أسرار حروف الجر في الذكر الحكيم، للدكتور محمد الأمين الخضري.
- نظرية الحروف العاملة ومبناها وطبيعة استعمالها القرآني بلاغيا، للدكتور مطر الهلالي.
- تناوب حروف الجر في لغة القرآن، للدكتور محمد حسن عواد.
- حروف الجر في العربية، نور الهدى لوشن.

الإطار النظري

سنعتمد في معالجة ظاهرة "التعدد الدلالي في حروف الجر"، على الطّرح اللّغوي القديم، وسنؤصّل للظاهرة في نصوصها النحوية والبلاغية الأصلية، مثل: كتاب سيبويه، وشرح المفصل لابن يعيش، والمغني اللبيب لابن هشام، والجنى الداني في حروف المعاني للمرادي، ورصف المباني في شرح حروف المعاني للمالقي، ومعاني الحروف لأبي الحسن الرماني، والأزهية في علم الحروف لعلي بن محمد الهروي، من بين آخرين. ستسعنا هذه المصادر العربية القديمة في الإجابة عن جزء من الإشكالات العالقة والتساؤلات المطروحة.

المقاربة والمنهجية

سنعتمد في هذه الدراسة منهجا وصفيا تحليليا تركيبيا، نستثمر فيه ما جاء في الحقلين العربيين القديمين، النحوي والبلاغي،من أجل مقاربة علمية مكتملة الرؤية. سيكون التصور النحوي العربي منطلقا أوليا، نصف من خلاله الظاهرة، ننتقل بعده للتصور البلاغي، ندرس من خلاله الظاهرة، نقسّم هذه الورقة البحثية إلى فقرتين: خصصنا الأولى لدراسة الإشكال الجوهري لهذا العمل؛ ورصد تعدّد الدّلالات الّتي يحيل إليها حرف الجرّ الواحد، مقابل اشتراكه مع حروف جرّ عديدة في تحقيق الدّلالة نفسها. والثانية لمناقشة وتفسير هذا التعدّد والاشتراك الدّلاليين في إطار التصورين النحوي والبلاغي. وطبعا فإنّ المنهج المقارن سيحضر بين الكثير من تصورات النحاة العرب القدامى، والبلاغيين.

1. ثنائية التّعدّد والاشتراك في معاني حروف الجرّ العربية

ندرس في هذه الفقرة إشكالية تعدّد معاني الحروف ودلالاتها في اللّغة العربية، لنجيب عن جملة من الإشكالات العالقة. يقسّم أبو حيان في ارتشاف الضرب، حروف الجرّ إلى أحادية وثنائية وثلاثية ورباعية. نعتمد على هذا التقسيم في تقديم الدّلالات التي تحقّقها حروف الجرّ في اللّغة العربية. كما سنستقي لهذا الغرض أبياتا من الشّعر العربي القديم، وآيات من القرآن تسعفنا في التّحليل واستخلاص الحصيلة.

IJSSP
المجلة الدولية لنشر الدراسات العلمية
المجلد السابع – العدد الثالث – البحث ارابع (ص: 55 - 99)
15 – كانو ن الأول – 2020 م
www.ijssp.com ISSN: 2707-5184 International Journal of Scientific Studies Publishing

1.1 معاني حروف الجرّ الأحادية

1.1.1 معاني حرف الباء

نجد لحرف الباء في كتب النّحو والبلاغة دلالات عديدة، نذكر منها:

- الإلصاق: يقصد بالإلصاق: اختلاط الشّيء بغيره واتّصاله به[1]. وهذا أصل معانيها[2]، نتأمّل المثال التّالي:

1. خرجتُ بزيدٍ ودخلتُ به

يتّضح أنّ تسمية النّحويين "باء الإلصاق" بذلك، لأنّها تلصق ما قبلها بما بعدها. كما هو مبيّن في البنية[3]. ونجد ابن جنّي يشرح هذا في "سرّ صناعة الإعراب"، بقوله: "إذا قلتَ أمسكتُ زيدا، فقد يمكن أن تكون بَاشَرْتَهُ نَفْسَهُ، وقد يمكن أن تكون منعته من التّصرّف من غير مباشرة له، أمّا إذا قلت: أمسكتُ بزيدٍ، فقد أعلمتَ أنّكَ باشرتَه، وألصقتَ محلّ قدرِك، أو ما اتّصل بمحلّ قدرك به، فقد صحّ إذاً معنى الإلصاق" .[4]

- التّعليل (السّببية): تكون الباء للتّعليل إذا كان مجرورها علّة أو سببا في حصول معنى عاملها (أي: الفعل المتعلّق بها). فهي الباء الّتي تدخل على سبب الفعل وعلّته الّتي من أجلها حصل. ونجد عند ابن مالك في شرح التّسهيل، أنّ باء التّعليل هي الّتي يحسن غالبا في موضعها اللّام[5]. كما في المثالين التّاليين:

2. ﴿إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ﴾ .[6]
3. ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ ﴾ .[7]

نرى في الآيتين رقم (2) و (3) أنّ مجرور باء التّعليل (اتّخاذ العجل) و(الظّلم) سببٌ في حصول معنى العامل (ظلم النّفس) و(تحريم الطيّبات). ويصحّ تعويض باء التّعليل بلام التّعليل لنحصل على التّالي:

- إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم لِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ .
- فَلِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ.

- الاستعانة (الأداة): تكون الباء للاستعانة إذا كان مجرورها عبارة عن آلة[8]. أو ما في حكمها. لحصول معنى عاملها. أي: هي الباء الّتي تدخل على الأداة أو الواسطة الّتي تمّ بها الفعل. لنلاحظ البنيتين التّاليتين:

4. كتبتُ الرّسالةَ بالقلمِ.
5. فتحتُ البابَ بالمفتاحِ.

نلاحظ في البنيتين (4) و (5) أنّ مجروري باء الآلة: (القلم) و(المفتاح) هما الأداتان أو الوسيلتان اللّتان حصل بهما معنى العامل: (كتابة الرّسالة) و(فتح الباب). وشرح ابن عصفور معنى الاستعانة في قوله: "ومثال كون الباء للاستعانة: كتبت بالقلم وبريت بالسّكّين. وكذلك كلّ ما يدخل على الأدوات الموصلة إلى الفعل، ألا ترى أنّ ما بعد الباء هو الّذي وصل به الفاعل إلى إيقاع الفعل بالمفعول، والقلم هو الّذي وصل به الفاعل إلى إيقاع الكتابة بالقرطاس، والسكّين هو الّذي وصل به الفاعل إلى إيقاع البرى بالقلم" .[9]

- التّعدية: يقصد بباء التّعدية: الباء القائمة مقام همزة النّقل في إيصال معنى عاملها الضّعيف (الفعل اللازم) إلى مجرورها[10]. فإذا كان الفعل لازما لا يتعدّى، وأُدخِلَت الباء، صار يتعدّى[11]. نلاحظ البنيتين التّاليتين:

IJSSP
المجلة الدولية لنشر الدراسات العلمية
المجلد السابع – العدد الثالث – البحث ارابع (ص: 55 - 99)
15 – كانو ن الأول – 2020 م
www.ijssp.com ISSN: 2707-5184 International Journal of Scientific Studies Publishing

[1] الإلصاق لغة تميم، والإلزاق لغة ربيعة، والإلساق لغة قيس

[2] سيبويه، الكتاب ج2، ص: 304

[3] ابن منظور، لسان العرب ج5، ص: 4032 . 4033 (لصق)

[4] ابن جنّي، سرّ صناعة الإعراب، ج1، ص: 139

[5] ابن مالك، شرح التّسهيل، ج 3، ص: 150

[6] [سورة البقرة: الآية 54].

[7] [سورة النّساء: الآية 160].

[8] ابن هشام، المغني، ص: 139.

[9] ابن عصفور، شرح الجمل ج1، ص: 495.

[10] ابن هشام، المغني، ص: 138

[11] المالقي، رصف المباني، ص: 143

IJSSP
المجلة الدولية لنشر الدراسات العلمية
المجلد السابع – العدد الثالث – البحث ارابع (ص: 55 - 99)
15 – كانو ن الأول – 2020 م
www.ijssp.com ISSN: 2707-5184 International Journal of Scientific Studies Publishing

6. قام زيد.
7. قام زيد بعمرو.

نتبيّن من البنية رقم (6) أنّ قام فعل لازم لا يتعدّى، لكنه في البنية رقم (7) أصبح يتعدّى بعد إدخال الباء على مجرورها. ونشير في هذا الصّدد، إلى أنّ باء التّعدية، هي الباء الّتي تصيّر الفاعل مفعولا. نتأمّل الآية التّالية:

8. ﴿ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ ﴾ .[12]

نلاحظ في الآية رقم (8) أنّ المقصود بالكلام: أذهب الله نورهم وأزاله وجعله ذاهبا. ويقول المرادي في هذا الصّدد: "وقد وردت باء التعدّية في قولهم صككتُ الحجرَ بالحجرِ، ودفعتُ بعضَ النّاسِ ببعضٍ. فلذلك يقول بعضهم: هي الدّاخلة على الفاعل فتصيّره مفعولا، إذ الأصل: صكَّ الحجرُ الحجرَ، ودفع بعضُ النّاس بعضاً والباء فيهما داخلة على ما كان فاعلا لا مفعولا".[13]

- المصاحبة :لمعنى المصاحبة ضابطان: الضّابط الأوّل أن يحسن في موضعها "مع". والضّابط الثّاني أن يغني عنها وعن مجرورها الحال. نشرح هذا باستحضار الآيات التّالية:

9. ﴿ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ ﴾[14]، المُراد: قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ مع الحقّ، أو قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ مُحِقًا.
10. ﴿ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا ﴾[15]، المقصود: يَا نُوحُ اهْبِطْ مع سلام، أو يَا نُوحُ اهْبِطْ مسلّما عليك.
11. ﴿ وَقَد دَّخَلُوا بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ ﴾[16]، أي: وَقَد دَّخَلُوا مع الكفر أو وَقَد دَّخَلُوا كافرين.

يتّضح من الأمثلة (9 – 11) وقوع الحال موقع باء المصاحبة ممّا جعل كثيرا من النّحاة يطلقون عليها باء الحال .[17]

- الظّرفية :تحيل الباء على معنى الظّرفية، مثل قولنا: أقمت بمكّة، وكنت بالبصرة[18]. وضابطها أن يحسن في موضعها حرف "في"، للدّلالة على احتواء مجرورها معنى عاملها[19]. وتدخل دائما على اسم من ظروف المكان أو الزّمان، لنلاحظ الأمثلة التّالية:

12. ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ﴾.[20]
13. ﴿إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ .[21]
14. ﴿نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ﴾.[22]
15. ﴿ وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ .[23]

يتّضح من البنيتين رقم (12) و (13) نيابة حرف الباء عن الحرف "في" في الدّلالة مع مجرورها على الظّرفية المكانية، مقابل دلالتهما على الظّرفية الزّمانية في الآيتين رقم (14) و (15). إذ يصحّ في هذا الموضع تعويض الباء ب"في"، بقولنا:

- وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي بَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ.
- إِنَّكَ فِي الْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى.
- نَجَّيْنَاهُمْ فِي سَحَرٍ.
- وَفِي اللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ .

IJSSP
المجلة الدولية لنشر الدراسات العلمية
المجلد السابع – العدد الثالث – البحث ارابع (ص: 55 - 99)
15 – كانو ن الأول – 2020 م
www.ijssp.com ISSN: 2707-5184 International Journal of Scientific Studies Publishing

[12] [سورة البقرة: الآية 17].

[13] المرادي، الجنى الدّاني، ص: 37

[14] [سورة النّساء: الآية 170].

[15] [سورة هود: الآية 48].

[16] [سورة المائدة: الآية 61]

[17] المرادي، الجنى الدّاني، ص: 40.

[18] الرمّاني، معاني الحروف، ص: 36

[19] المرادي، الجنى الدّاني، ص: 40.

[20] [سورة آل عمران: الآية 123].

[21] [سورة طه: الآية 12].

[22] [سورة القمر: الآية 34].

[23] [سورة الصافّات: الآية 138].

IJSSP
المجلة الدولية لنشر الدراسات العلمية
المجلد السابع – العدد الثالث – البحث ارابع (ص: 55 - 99)
15 – كانو ن الأول – 2020 م
www.ijssp.com ISSN: 2707-5184 International Journal of Scientific Studies Publishing

-البدل :نعثر في كتاب الصّاحبيّ على كلام ذكره ابن فارس عن باء البدل، يقول فيه: "قولهم هذا بذاك أي عوض منه، وبعت هذا بهذا، وأعطيت ذاك بذاك"[24]. وضابط باء البدل أن يصحّ تعويضها بمفردة "بَدَلَ" للدّلالة على أنّ مجرورها متروك[25]. نلاحظ البنيات التّالية:

16.﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلالَةَ بِالْهُدَى﴾ .[26]
17.﴿قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾.[27]
18.﴿وَمَن يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ .[28]
19.﴿وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ﴾ .[29]

ويمكن أن نعوّض باء البدل في الآيات (16 - 17)، بمفردة "بَدَلَ" للدّلالة على أنّ مجرورها متروك. نحو:

- الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلالَةَ بَدَلَ الْهُدَى.
- أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بَدَلَ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ.
- وَمَن يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ ببدل الْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ.
- وَبَدَّلْنَاهُمْ بَدَلَ جَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ.

-المقابلة: تسمّى باء المقابلة، باء العوض، أي: دفع شيء في مقابل شيء آخر[30]. وتدخل هذه الباء في كلامنا على الأثمان والأعواض. نلاحظ المثال التّالي:

20.﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ﴾ .[31]

المراد من الآية الواردة في المثال رقم (20) هو أنّ الله اشترى أموال المؤمنين وأنفسهم مقابل الجنّة.

- المجاوزة :ضابط معنى المجاوزة أن يصحّ وضع "عن" مكانها، للدّلالة على ابتعاد شيء عن مجرورها بسبب عاملها[32]. وتقع هذه الباء كثيرا بعد السّؤال، وقليلا بعد غير السّؤال. نلاحظ المثالين التّاليين:

21.﴿ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا﴾ .[33]
22.﴿ سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴾ .[34]

يتّضح من خلال الآيتين رقم (21) و (22)، نيابة حرف الباء عن حرف الجرّ "عن" في الإحالة على معنى المجاوزة. إذ يصحّ تعويض الباء ب "عن" بقولنا:

- فَاسْأَلْ عَنْهُ خَبِيرًا.
- سَأَلَ سَائِلٌ عَنْ عَذَابٍ وَاقِعٍ.

-الاستعلاء: ضابط معنى الاستعلاء أن يصحّ وضع "على" موضع الباء للدّلالة على أنّ مجرورها وقع عليه معنى عاملها. نتأمّل الأمثلة التّالية:

23.﴿فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ﴾ .[35]
24.﴿وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ﴾ .[36]

[24] ابن فارس، الصّاحبي في فقه اللّغة، ص: 106.

[25] المرادي، الجنى الدّاني، ص: 40.

[26] [سورة البقرة: الآية 16].

[27] [سورة البقرة: الآية 61].

[28] [سورة البقرة: الآية 108].

[29] [سورة سبأ: الآية 6].

[30] ابن هشام، المغني، ص: 141.

[31] [سورة التّوبة: الآية 111].

[32] ابن هشام، المغني، ص: 142.

[33] [سورة الفرقان: الآية 59].

[34] [سورة المعارج: الآية 1].

[35] [سورة آل عمران: الآية 153].

[36] [سورة المطفّفين: الآية 30].

يتبيّن في الآيتين رقم (23) و(24)، نيابة حرف الباء عن حرف الجرّ "على" في الإحالة على معنى الاستعلاء. إذ يمكن تعويض حرف الباء بالحرف"على" لنقول:

- فَأَثَابَكُمْ غَمًّا على غَمٍّ.
- وَإِذَا مَرُّوا عليهم يَتَغَامَزُونَ.

-انتهاء الغاية: وضابطها أن يصحّ وضع "إلى" مكانها للدّلالة على أنّ معنى عاملها ينتهي إلى مجرورها[37]. نتأمّل المثال التّالي:

25.﴿ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ ﴾.[38]

نلاحظ من خلال الآية (25)، نيابة حرف الباء عن حرف الجرّ "إلى" في الدّلالة على انتهاء الغاية. إذ يصحّ القول: ما سبقكم إليها من أحد

- التّبعيض :ضابط باء التّبعيض أن يصحّ وضع "من" التبعيضية مكانها[39]. نلاحظ المثالين التّاليين:

26.﴿ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ ﴾.[40]
27.﴿ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴾.[41]

يظهر من الآيتين (26) و (27)، نيابة حرف الباء عن حرف الجرّ "من" في الإحالة على معنى التبعيض. إذ يصحّ استبدال حرف الباء بالحرف"من":

- عَيْنًا يَشْرَبُ منها الْمُقَرَّبُونَ .
- عَيْنًا يَشْرَبُ منها عِبَادُ اللَّهِ.

نستنتج من عرضنا لمعاني الباء في الكلام العربي، إفادتها لمجموعة من المعاني والدلالات، منها: التعدية، والآلة، والتعليل. علاوة على ذلك، نستخلص اشتراك الباء مع حروف الجرّ الأخرى في تأدية المعاني نفسها. وذلك مثل اشتراكها مع الحرف "في" في تأدية معنى الظرفية، واشتراكها مع الحرف "على" في تأدية معنى الاستعلاء، واشتراكها مع الحرف "عن" في تأدية معنى المجاوزة. وهو ما يثبت فرضية العلاقة القائمة بين حروف الجر ودلالاتها، وينفي استقلال حرف الجرّ بمعانيه عن بقية حروف الجرّ الأخرى.

2.1.1 معاني حرف اللّام

يعتبر اللاّم حرفا كثير الأقسام والمعاني، وقد أفرد له بعض النّحاة كتبا مستقلّة، مثل: النّحّاس، والزّجّاجي، وابن فارس. ونكتفي بدراسة ما يتّصل من اللاّمات بموضوعنا، ألا وهو اللاّم العاملة لجرّ الأسماء. وتأتي اللاّم الجارّة لمعان كثيرة، وهي ما يلي:

-الملك: تقع لام الملك بين ذاتين، ومجرورها منهما هو الذي يملك، نلاحظ الآية التّالية:

28. ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾.[42]

نلاحظ في الآية (28) وقوع اللاّم بين ذاتين للدّلالة على أنّ ملك السّموات والأرض يعود لمجرور حرف اللاّم (الله). ويعتبر معنى الملك أصل معانيها.

-الاستحقاق :تقع لام الاستحقاق بين معنى وذات[43]، ومجرورها منهما هو الّذي يستحقّ، نلاحظ الآية التّالية:

29.﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ .[44]

نلاحظ في الآية (29) وقوع اللّام بين معنى (الحمد) وذات (الله)، للدّلالة على أنّ مجرور اللّام (الله) أحقّ بمعنى الحمد.

-الاختصاص :تقع لام الاختصاص بين ذاتين، ومجرورها منهما لا يملك الآخر، وإنّما يختصّ به[45]. لهذا قد يعبَّر بشبه الملك، نحو:

30.الجنّة للمؤمنين.
31.النّار للكافرين.

نلاحظ في الآيتين (30) و(31) وقوع اللام بين ذاتين (الجنة/المؤمنين)، و(النّار/الكافرين) للدّلالة على اختصاص الجنة والنّار بمجرور حرف اللام على التّوالي: (المؤمنين / الكافرين).

-التّعليل :يكون مجرور لام التّعليل علّة في حصول معنى عاملها[46]. مثال:

32.﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ ﴾ .[47]
33.﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾ .[48]

تدلّ الآيتان (32) و(33) على أنّ مجرور حرف اللّام: (وجه الله) و(ذكر الله)، علّة في حصول معنى عامله: (الإطعام) و (إقامة الصّلاة). وتعتبر من التّعليل "لام كي" الدّاخلة لفظا على الفعل المضارع، مثال:

34. ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ .[49]

-التّبليغ: يُقصد بلام التّبليغ، اللّام الدّالّة على إيصال المعنى إلى اسم السّامع[50]، نحو: قلت له، حكيت له، ومنه قوله تعالى:

35.﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لامْرَأَتِهِ﴾ .[51]

-الصّيرورة :يُقصد بلام الصّيرورة، اللّام الدّالة على أنّ ما بعدها نتيجة غير مقصودة لما قبلها. ونجد في رصف المباني للمالقي، أنّ البعضَ يُطلِق عليها اسم لام العاقبة، ولام المآل[52]. مثال:

36.﴿ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ﴾ .[53]

-التّعجّب، وتستعمل لام التعجّب مفتوحة في النّداء، وتستعمل مكسورة في غير النّداء نحو:

37.يا لَه من رجل كريم
38. لِلَّهِ درُّك عالما.

-انتهاء الغاية :توافق اللّام حرف الجرّ "إلى" في الدّلالة على أنّ معنى عاملها ينتهي وينقطع بوصوله إلى الاسم المجرور بها، ومن أمثلة اللّام بمعنى "إلى":

IJSSP
المجلة الدولية لنشر الدراسات العلمية
المجلد السابع – العدد الثالث – البحث ارابع (ص: 55 - 99)
15 – كانو ن الأول – 2020 م
www.ijssp.com ISSN: 2707-5184 International Journal of Scientific Studies Publishing

[43] المرادي، الجنى الدّاني، ص: 96.

[44] [سورة الفاتحة:الآية 2].

[45] المالقي، رصف المباني، ص: 218.

[46] ابن هشام، المغني، ص: 277.

[47] [سورة الإنسان:الآية 9].

[48] [سورة طه: الآية 14].

[49] [سورة النحل: الآية 44].

[50] ابن هشام، المغني، ص: 281.

[51] [سورة يوسف: الآية 21].

[52] المالقي، رصف المباني، ص: 225.

[53] [سورة القصص: الآية 8].

IJSSP
المجلة الدولية لنشر الدراسات العلمية
المجلد السابع – العدد الثالث – البحث ارابع (ص: 55 - 99)
15 – كانو ن الأول – 2020 م
www.ijssp.com ISSN: 2707-5184 International Journal of Scientific Studies Publishing

39.﴿ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُسَمًّى ﴾ .[54]

نلاحظ في الآية (39) نيابة اللام عن حرف الجرّ (إلى) في الدّلالة على معنى انتهاء الغاية، إذ يصح هنا تعويض حرف اللام ب"إلى": كُلٌّ يَجْرِي إلى أَجَلٍ مُسَمًّى

-الظرفية :توافق اللّام حرف الجرّ "في" في الدّلالة على احتواء مجرورها معنى عاملها، كما يحتوي الظّرف المظروف. مثال:

40.﴿ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ﴾ .[55]
41.

نلاحظ في المثال (40) نيابة حرف اللام عن "في" في الدّلالة على معنى الظّرفية الزّمانية: لَا يُجَلِّيهَا فِي وَقْتِهَا إِلَّا هُوَ.

نستنتج من هذا العرض لمعاني اللّام، أنّها توحي بدلالات متعدّدة، منها: الملك، والاستحقاق، والاختصاص. علاوة على ذلك، تشترك اللّام مع حروف الجرّ الأخرى في تأدية المعنى نفسه، وذلك مثل: اشتراكها مع الحرف "في" في تأدية معنى الظرفية، واشتراكها مع الحرف "إلى" في تأدية معنى انتهاء الغاية. ويؤكّد هذا الاستنتاج التّعالق اللّغوي بين حروف الجر وبين دلالاتها، وينفي استقلال حرف الجرّ بمعانيه عن بقية حروف الجرّ الأخرى.

2.1 معاني حروف الجرّ الثّنائية.

1.2.1 معاني الحرف "عن"

تفيد "عن" في التركيب العربيّ عدّة معان، وهي ما يلي:

-المجاوزة :المجاوزة ابتعاد شيء، مذكور أو غير مذكور، عن المجرور ب"عن" بسبب عاملها[56]. نلاحظ البنية التّالية:

42. رميت السّهمَ عن القوسِ.

يقصد في البنية (42) جاوز السّهمُ القوسَ بسبب الرّمي. وهذا المعنى هو أظهر معاني "عن" وأكثرها استعمالا لأنّه الأصل فيها. يؤكّد ذلك قول ابن مالك: "واستعمال (عن) للمجاوزة أكثر من استعمالها لغيرها، ولاقتضائها المجاوزة عدّي بها: صدّ، وأعرض، وأضرب، وانحرف، وعدل، ونهى، ونأى، ورحل، واستغنى، وغفل، وسها، وسلا، ورغب، ومال" .[57]

-البدلية، نلاحظ المثالين التّالين:

43.﴿ اتَّقُوا يَوْمًا لا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا ﴾ .[58]
44.حجّ فلان عن أبيه، وقضى عنه دينا .[59]

نلاحظ في البنيتين (43)و (44) إمكانية استبدال حرف الجرّ (عن) بلفظة (بَدَلَ) للدّلالة على أنّ مجرور (عن) متروك:

IJSSP
المجلة الدولية لنشر الدراسات العلمية
المجلد السابع – العدد الثالث – البحث ارابع (ص: 55 - 99)
15 – كانو ن الأول – 2020 م
www.ijssp.com ISSN: 2707-5184 International Journal of Scientific Studies Publishing

- اتَّقُوا يَوْمًا لا تَجْزِي نَفْسٌ بدل نَفْسٍ.
- حجّ فلان بدل أبيه، وقضى بدله دينا

-الاستعلاء :يوافق حرف الجرّ "عن" حرف الجرّ "على" في الدّلالة على الاستعلاء. لنتأمّل الآية التّالية:

45.﴿ وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ ﴾ .[60]

يقول ابن مالك في هذا الصّدد: "لصلاحية "عن" للاستعلاء عدّي بها "رضي" والأصل تعديته ب "على"[61]. نفهم من قول ابن مالك أنّ الأصل قولنا: رضي عليه، إلّا أن نيابة (عن) عن الحرف (على) في الدّلالة على معنى الاستعلاء، جعلت العرب تعدّي فعل (رضي) بحرف الجرّ (عن)، فتقول: رضي عنه. ومن تمّ يصح قولنا: وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَلَى نَفْسِهِ.

-التّعليل :التّعليل أن يكون مجرور "عن" علّة في حصول معنى متعلّقها. نلاحظ الأمثلة التّالية:

46. ﴿ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ ﴾ .[62]
47.﴿ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ ﴾ .[63]
48.﴿ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ﴾ .[64]

يتبيّن في البنيات رقم (46 - 48) أنّ "عن" تأتي للتّعليل كثيرا في الكلام المنفي، أي: لتعليل النّفي في الكلام. وذلك مثل قولنا:

49. لم آت إليك إلّا عن طلب منك.

-أن تكون بمعنى "بعد"[65]. مثال:

50.﴿ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ ﴾[66]. (أي: بعد قليل).
51.﴿ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ ﴾[67] (أي: حالا بعد حال).

نلاحظ في الآيتين (50) و(51)، تقارب معنيي "عن" و"بعد"، وتداخلها، ولذلك، يقع كلّ واحد منهما موقع الآخر، لأنّ (عن) تكون لما عدا الشيء، وتجاوزه، و(بعد) لما تبعه وعاقبه. نستنتج بعد تقديمنا لمعاني "عن"، إفادتها لمجموعة من المعاني والدلالات، أظهرها معنى المجاوزة، وهو أكثر معانيها استعمالا لأنّه الأصل فيها. علاوة على ذلك، نستخلص اشتراك "عن" مع حروف الجرّ الأخرى في تأدية المعاني نفسها، وذلك كاشتراكها مع الحرف "على" في تأدية معنى الاستعلاء. وهو ما يثبت فرضية العلاقة القائمة بين حروف الجر ودلالاتها، وينفي استقلال حرف الجرّ بمعانيه عن بقية حروف الجرّ الأخرى.

2.2.1 معاني الحرف "في". تفيد "في" في التّركيب عدّة معان، وهي:

-الظّرفية :يعدُّ معنى الظّرفيّة من أكثر معاني "في" استعمالا، لأنّه الأصل فيها. يقصد بالظّرفية احتواء شيء في داخله شيئا آخر[68]. والمراد بها هنا: احتواء مجرور "في" معنى متعلّقها، كما يحتوي الظّرف المظروف. وهي نوعان: ظرفية حقيقية وظرفية مجازية.

أ. الظّرفية الحقيقية إمّا مكانية وإمّا زمانية. مثال:

IJSSP
المجلة الدولية لنشر الدراسات العلمية
المجلد السابع – العدد الثالث – البحث ارابع (ص: 55 - 99)
15 – كانو ن الأول – 2020 م
www.ijssp.com ISSN: 2707-5184 International Journal of Scientific Studies Publishing

[60] [سورة محمّد: الآية 38].

[61] ابن مالك، شرح التّسهيل، ج 3، ص: 160.

[62] [سورة التّوبة: الآية 114].

[63] [سورة هود: الآية 53].

[64] [سورة الكهف: الآية 82].

[65] ابن هشام، المغني، ص: 197.

[66] [سورة المومنون: الآية 40].

[67] [سورة الانشقاق: الآية 19]

[68] المرادي، الجنى الدّاني، ص: 256.

IJSSP
المجلة الدولية لنشر الدراسات العلمية
المجلد السابع – العدد الثالث – البحث ارابع (ص: 55 - 99)
15 – كانو ن الأول – 2020 م
www.ijssp.com ISSN: 2707-5184 International Journal of Scientific Studies Publishing

52.أ. ﴿ وَلا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ ﴾ .[69]
53.ب. ﴿ وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ ﴾ .[70]

ب. الظّرفية المجازية، مثال:

54.أ. ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ .[71]
55.ب. السعادة في راحة النفس؛ والغنى في التّعفّف عمّا لا يملكه المرء.

-المصاحبة :يوافق الحرف "في" الحرف "مع" في الدّلالة على معنى المصاحبة. نلاحظ المثال التّالي:

56.﴿ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾ .[72]
57.﴿ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ﴾ .[73]

يتضّح في الآيتين (56) و(57) إمكانية استعمال "في" بمعنى "مع"، وذلك لتقارب معنييهما، لأنّ الشّيء إذا كان في الشيء فهو معه[74]. ومنه يصحّ القول:

- وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ مَعَ عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ.
- فَادْخُلِي مَعَ عِبَادِي.

-التّعليل (السّببية): ضابط معنى التّعليل أن يحسن في موضع الحرف "في" لفظة "بسبب"[75]، نحو قوله تعالى:

58.﴿ لَوْلا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ .[76]
- لَوْلا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ بِسَبَبِ مَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ.

و نستحضر في هذا الإطار قوله تعالى، حكاية عن قول امرأة العُزَير:

59.﴿ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ ﴾.[77]
- فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي بِسَبَبِهِ.

ومنه قوله الرّسول ﷺ:

60.دخَلتِ امرأةٌ النَّارَ في هِرَّةٍ ربَطَتْها فلا هي أطعَمَتْها ولا هي أرسَلَتْها تأكُلُ مِن خَشاشِ الأرضِ .
- دخَلتِ امرأةٌ النَّارَ بِسَبَبِ هِرَّةٍ ربَطَتْها فلا هي أطعَمَتْها ولا هي أرسَلَتْها تأكُلُ مِن خَشاشِ الأرضِ .

-التّبعيض: يوافق حرف الجرّ "في" حرف الجرّ "من" في الدّلالة على التّبعيض، ونجد لهذا الاستعمال أمثلة كثيرة:

61.﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ﴾.[78]
- وَيَوْمَ نَبْعَثُ من كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا

- انتهاء الغاية: يوافق حرف الجرّ "في" حرف الجرّ "إلى" في الدّلالة على انتهاء الغاية، ونجد لهذا الاستعمال أمثلة كثيرة:

62.﴿ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا ﴾ .[79]

IJSSP
المجلة الدولية لنشر الدراسات العلمية
المجلد السابع – العدد الثالث – البحث ارابع (ص: 55 - 99)
15 – كانو ن الأول – 2020 م
www.ijssp.com ISSN: 2707-5184 International Journal of Scientific Studies Publishing

[69] [سورة البقرة: الآية 187].

[70] [سورة البقرة: الآية 203].

[71] [سورة البقرة: الآية 179].

[72] [سورة النّمل: الآية 19].

[73] [سورة الفجر: الآية 29].

[74] ابن السيد البطليوسي، الاقتضاب، ج 2، ص: 293.

[75] المرادي، الجنى الدّاني، ص: 250.

[76] [سورة الأنفال: ص: 68].

[77] [سورة يوسف: الآية 32].

[78] [سورة النحل: الآية 89].

[79] [سورة النّساء: الآية 97].

IJSSP
المجلة الدولية لنشر الدراسات العلمية
المجلد السابع – العدد الثالث – البحث ارابع (ص: 55 - 99)
15 – كانو ن الأول – 2020 م
www.ijssp.com ISSN: 2707-5184 International Journal of Scientific Studies Publishing

نستنتج من عرضنا لمعاني "في" في الكلام العربي، إفادتها لمجموعة من المعاني والدلالات، أظهرها معنى الظّرفية. ويعدُّ معنى الظّرفيّة أكثر معاني "في" استعمالا، لأنّه الأصل فيها. وعلاوة على ذلك، نستخلص اشتراك "في" مع حروف الجرّ الأخرى في إفادة مجموعة من الدّلالات، وذلك مثل اشتراكها مع الحرف "من" في تأدية معنى التّبعيض، واشتراكها مع الحرف "إلى" في تأدية معنى انتهاء الغاية. وهو ما يثبت فرضية العلاقة القائمة بين حروف الجر ودلالاتها، وينفي استقلال حرف الجرّ بمعانيه عن بقية حروف الجرّ الأخرى.

3.2.1 معاني الحرف "من"

تفيد "من" في التّركيب عدّة معان، وهي كما يلي:

- ابتداء الغاية :تفيد "من" في التّركيب معنى ابتداء الغاية في المكان كثيرا، وفي الزّمان قليلا. مثال:

63.﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى ﴾.[80]

64.﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ﴾ .[81]

-التّبعيض :نجد في ضابط معنى التّبعيض أن يحسن مكانها "بعض". قال سيبويه: "وتكون أيضا للتّبعيض، تقول: هذا من الثّوب، وهذا منهم، كأنّك قلتّ : بعضه"[82]. ننظر المثال التّالي:

65.﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً﴾ .[83]

-بيان الجنس :يقصد ببيان الجنس: بيان المقصود من الجنس العامّ الّذي قبلها. وضابطها أن يصحّ الإخبار بما بعدها عمّا قبلها. كقولنا: النّرجس من الزّهور، والفول من القطاني. ومن أمثلة ذلك ما يلي:

66.﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ ﴾ .[84]

67.﴿ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ ﴾ .[85]

وتُعرف "من" الدّالة على بيان الجنس، حسب ما جاء به رضيّ الدّين الاسترابادي، بوقوعها بعد مبهم يصلح أن يكون المجرور ب "من" تفسيرا له"[86]. وكثيرا ما تقع "من" الدّالّة على الجنس بعد "ما" و"مهما" لإفراط إبهامهما[87]. فالأُولى نحو قوله تعالى: ﴿ مَّا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾[88]، والثانية نحو قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ .[89]

-التّعليل :ضابط معنى التّعليل أن يكون مجرور "من" علّة في حصول معنى متعلّقها[90]. لاحظ:

68.﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ﴾ .[91]

69.﴿وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ مِنْ إِمْلاقٍ ﴾ .[92]

نلاحظ في الآيتين (68) و(69) أن مجرور (من) علّة وسبب في حصول معنى متعلّقها.

-البدل :ضابط معنى البدل أن يحسن في موضع "من" كلمة "بدل". مثال:

70.﴿أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ﴾ .[93]

IJSSP
المجلة الدولية لنشر الدراسات العلمية
المجلد السابع – العدد الثالث – البحث ارابع (ص: 55 - 99)
15 – كانو ن الأول – 2020 م
www.ijssp.com ISSN: 2707-5184 International Journal of Scientific Studies Publishing

والمراد من الآية: رضيتم بالحياة الدّنيوية بدلا من الحياة الأخروية.

71.﴿ وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴾ .[94]

أي: لجعلنا بدلا منكم ملائكة في الأرض يخلفون.

-المجاوزة: توافق "من" حرف الجرّ "عن" في الدّلالة على المجاوزة[95]. مثال:

72.﴿ فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ .[96]

73.﴿ يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَـٰذَا ﴾ .[97]

74.﴿الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴾ .[98]

نلاحظ في الأمثلة (72 - 74)، اشتراك (عن) و(من) في الإحالة على معنى المجاوزة. ونجد الأمثلة على ذلك كثيرة في اللّغة العربية. نحو قولنا: كسوته عن عُري ومن عُري، وأطعمته عن جوع ومن جوع، ونزعت الشيء عنه ومنه، وتقبّل عنه ومنه، ومنع عنه ومنه" .[99]

- الفصل :يقصد بدلالة الفصل، "من" الدّاخلة على اثنين متضادّين. مثال:

75.﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ﴾ .[100]

76.﴿ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ﴾ .[101]

نلاحظ في الآيتين (75) و(76) دخول حرف الفصل (من) على اثنين متضادّين: (المفسد ≠ المصلح) و(الخبيث ≠ الطيّب).

-الوصل :تعتبر دلالة الوصل معنىً فرعيا للتّبعيض، ذلك أن أصل "من" في مثل هذا التّركيب التّبعيض. مثال:

77.﴿ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي ﴾ .[102]

78.﴿ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ ﴾ .[103]

نستنتج من عرضنا لمعاني "من" في الكلام العربي، تفرّدها بإفادة مجموعة من المعاني والدلالات، منها الوصل، والفصل، والتبعيض. إلّا أنّها تشترك مع حروف الجرّ الأخرى في تأدية المعاني نفسها، وذلك كاشتراكها مع الحرف "عن" في تأدية معنى المجاوزة. وهو ما يثبت فرضية العلاقة القائمة بين حروف الجر ودلالاتها، وينفي استقلال حرف الجرّ بمعانيه عن بقية حروف الجرّ الأخرى.

3.1 معاني حروف الجرّ الثّلاثية.

1.3.1 معاني الحرف "إلى"

تفيد "إلى" في التّركيب عدّة معان، وهي كما يلي:

IJSSP
المجلة الدولية لنشر الدراسات العلمية
المجلد السابع – العدد الثالث – البحث ارابع (ص: 55 - 99)
15 – كانو ن الأول – 2020 م
www.ijssp.com ISSN: 2707-5184 International Journal of Scientific Studies Publishing

[94] [سورة الزّخرف: الآية 60].

[95] سيبويه، الكتاب، ج 4، ص: 227.

[96] [سورة الزّمر: الآية 22].

[97] [سورة الأنبياء: الآية 97].

[98] [سورة قريش: الآية 4].

[99] ابن مالك، شرح التسهيل، ج 3، ص: 158.

[100] [سورة البقرة: الآية 220].

[101][سورة آل عمران: الآية 179]

[102] [سورة البقرة: الآية 249].

[103] [سورة آل عمران: الآية 28].

IJSSP
المجلة الدولية لنشر الدراسات العلمية
المجلد السابع – العدد الثالث – البحث ارابع (ص: 55 - 99)
15 – كانو ن الأول – 2020 م
www.ijssp.com ISSN: 2707-5184 International Journal of Scientific Studies Publishing

- انتهاء الغاية :تفيد "إلى" في التّركيب معنى انتهاء الغاية، والمراد بانتهاء الغاية أنّ معنى متعلّقها ينقطع بوصوله إلى الاسم المجرور بها[104]. وذلك في أربعٍ: المكان، الزّمان، الأحداث، الأشخاص.

أ. انتهاء الغاية في المكان: نجد لانتهاء الغاية المكانية مثالا في الآية التّالية:

79.﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى ﴾ .[105]

نلاحظ في الآية (79) أنّ معنى متعلّق الحرف "إلى": (الإسراء)، ينقطع بوصوله إلى الاسم المجرور بها: (المسجد الأقصى). بعبارة أخرى، انتهاء الغاية يحصل بوصول الإسراء إلى المسجد الأقصى.

ب .انتهاء الغاية في الزّمان: نجد لانتهاء الغاية الزّمانية مثالا في الآية التّالية:

80.﴿ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ ﴾ .[106]

نلاحظ في الآية (80) أنّ معنى متعلّق الحرف "إلى": (الصّيام)، ينقطع بوصوله إلى الاسم المجرور بها: (اللّيل). بعبارة أخرى، إتمام الصّيام يحصل ببلوغ اللّيل.

ج .انتهاء الغاية في الأحداث: يتجلّى مثال انتهاء الغاية في الأحداث، في قولنا:

81. تؤدّي العمليّة الجراحية إلى شفاء المريض.

نلاحظ من خلال الآية (81) أنّ معنى متعلّق الحرف "إلى": (الجراحة)، ينقطع بوصوله إلى الاسم المجرور بها: (الشّفاء).

د. انتهاء الغاية في الأشخاص: يتجسّد مثال انتهاء الغاية في الأشخاص، في قولنا:

82. جاء الطّالب إلى أستاذه الكريم.

نلاحظ في الآية (82) أنّ معنى متعلّق الحرف "إلى": (المجيء)، ينقطع بوصوله إلى الاسم المجرور بها: (الأستاذ).

-المصاحبة :تتوافق "إلى" و "مع" في الدّلالة على معنى المصاحبة، وضابطها هنا أن يصحّ وضع كلمة "مع" مكانها. مثال:

83.﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ ﴾ .[107]

نتبيّن من الآية (83) أنّ (إلى) و (مع) تتداخلان في معنييهما، فيوجد في كلّ واحدة منهما معنى صاحبتها، لأنّ الشّيء إذا كان مع الشّيء، فهو مضاف إليه، وإذا كان مضافا إليه، فهو معه[108]. فإذا قال تبارك وتعالى: ﴿وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ﴾[109]، فمعناها أن يضيف إلى قوّتكم قوّة أخرى معها.

-موافقة "عند". لاحظ المثال الآتي:

84. العمل أحبّ إليّ من الكسل. (أي: العمل أحبّ عندي من الكسل).

[104] عباس حسن، النّحو الوافي، ج 2، ص: 468.

[105] [سورة الإسراء: الآية 1].

[106] سورة البقرة: الآية 187.

[107] [سورة النساء: الآية 2].

[108] ابن السيّد البطليوسي، الاقتضاب، ج 2، ص: 286.

[109] [سورة هود: الآية 52]،

IJSSP
المجلة الدولية لنشر الدراسات العلمية
المجلد السابع – العدد الثالث – البحث ارابع (ص: 55 - 99)
15 – كانو ن الأول – 2020 م
www.ijssp.com ISSN: 2707-5184 International Journal of Scientific Studies Publishing

-الاختصاص: تتوافق "إلى" و "اللام" في الدّلالة على معنى الملكية والاختصاص. تأمّل المثال التّالية:

85.﴿ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴾.[110]

يمكننا أن نقول في الآية (85): الأمر لك. وذلك مثل: ﴿ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ ﴾ .[111]

نستنتج بعد عرضنا لمعاني "إلى" في الكلام العربي، أنّها من أكثر حروف الجرّ مشاركة للحروف الأخرى في تأدية المعاني نفسها، وذلك كاشتراكها مع الحرف "مع" في تأدية معنى المصاحبة. وهو ما يثبت فرضية العلاقة القائمة بين حروف الجر ودلالاتها، وينفي استقلال حرف الجرّ بمعانيه عن بقية حروف الجرّ الأخرى.

2.3.1 معاني الحرف "على"

تفيد "على" في التّركيب عدة معان، وهي كما يلي:

-الاستعلاء :تفيد "على" في التّركيب معنى الاستعلاء للدّلالة على أنّ مجرورها وقع أو يقع عليه معنى متعلّقها وقوعا حسّيا أو معنويا[112]. ونجد للاستعلاء الحسّي مثالا في الآية التّالية:

86.﴿ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴾ .[113]

ونعثر للاستعلاء المعنوي على مثال في الآية التّالية:

87.﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ .[114]

نلاحظ أنّ الاستعلاء المعنوي يقع - غالبا - بعد الأفعال التالية: وجب ونظيرة، وكذب ونظيره، وثقل وما في معناه، وعسر، وعظم، وما فيه الدّلالة على التّمكّن. ومثال ذلك قولنا:

88. وَجَبَ على زيدٍ احترامُ القانونِ.

89. كذبتْ مريمُ على فاطمةَ.

90. ثَقُلَتْ عَلَيْهِ أَعْبَاءُ الحياةِ.

91. عَسُرَ عليهِ الأَمرُ.

92.﴿ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ﴾ .[115]

ويُعَدُّ معنى الاستعلاء بنوعيه: الحسي والمعنوي، أكثر معاني "على" استعمالا لأنّه الأصل فيها.

-المصاحبة :تتوافق "على" و "مع" في الإحالة على المصاحبة، وضابطها أن يصحّ وضع "مع" مكانها، مثال:

93.﴿ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ ﴾ .[116]

يراد من معنى الآية أعلاه: أَعْطَى المَالَ مَعَ حُبِّهِ لِلْمَسَاكِينِ.

94.﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ﴾ .[117]

IJSSP
المجلة الدولية لنشر الدراسات العلمية
المجلد السابع – العدد الثالث – البحث ابرابع (ص: 55 - 99)
15 – كانو ن الأول – 2020 م
www.ijssp.com ISSN: 2707-5184 International Journal of Scientific Studies Publishing

يقصد من الآية أعلاه: يَغْفِرُ اللهُ لِلنَّاسِ مَعَ ظُلْمِهِمْ.

95.﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ ﴾[118]. أي: مع الكِبَرِ.

- المجاوزة :تتوافق "إلى" و "عن" في الإحالة على دلالة المجاوزة، وضابطها أن يصحّ وضع "عن" مكانها. ويقول سيبويه في هذا: "قال أبو عمر: سمعت العرب يقولون: رميت عن القوس، ورميت عليها"[119]. نفسّر قول سيبويه بجواز استعمال "على"، لأنّه إذا رمى عن القوس فقد وضع السّهم عليها[120]. ويأتي استعمال "على" للمجاوزة بعد أفعال من قبيل: بَعُدَ، وخَفِيَ، وتَعَذَّرَ، واسْتَحَالَ، وحَرَّمَ، وغَضِبَ، وأشباهها. وذلك في قولنا:

96. بَعُدَ عَنْهُ وَبَعُدَ عَلَيْهِ.

97. خَفِيَ عنه وخَفِيَ عَلَيْهِ.

98. حَرَّمَ عنه وَحَرَّمَ عَلَيْهِ.

99. غَضِبَ عَنْهُ وغَضِبَ عَلَيْهِ.

ولمشاركة "على" للحرف "عن" في المجاوزة، تُعاقبها في بعض المواضع، نحو: رضي عنه ورضي عليه، وأبطأ عنه وأبطأ عليه، وأحال عنه وأحال عليه، إذا عدل عنه، وولّى بودّه عنه وعليه" .[121]

- التّعليل :تتوافق "على" و"اللام" في إفادة معنى التّعليل، وضابطها أن يحسن في موضعها "لام" التّعليل، بأن يكون مجرورها علّة في حصول معنى متعلّقها[122]. مثال:

100. سُجِنَ عَلَى الاعتداءِ، وضُرِبَ عَلَى الكَذِبِ.

101.﴿كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ﴾ .[123]

- الظّرفية :تتوافق "على" و"في" في إفادة معنى الظّرفية، وضابطها أن يحسن وضع "في" مكانها، مثال:

102.﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا﴾ .[124]

نلاحظ في الآية (102)، تداخل معنى (في) و(على)، ولذلك، يقع بعضها موقع بعض في هذا الموضع. لأنّ معنى (على) الإشراف والارتفاع، ومعنى (في) الوعاء والاشتمال، وهي خاصة بالأمكنة.[125]

- ابتداء الغاية :تتوافق "على" و"من" في إفادة معنى ابتداء الغاية، وضابطها أن يصحّ وضع "من" مكانها[126]. نأخذ المثالين التّاليين:

103.﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ، إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ ﴾ .[127]

104.﴿ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴾ .[128]

نلاحظ في الآيتين رقم (103) و(104) إثبات معنى (على) للحرف (من) لأنّه يقال: اكتلت من زيد الطّعام أي سألته أن يكيله عليّ.

IJSSP
المجلة الدولية لنشر الدراسات العلمية
المجلد السابع – العدد الثالث – البحث ارابع (ص: 55 - 99)
15 – كانو ن الأول – 2020 م
www.ijssp.com ISSN: 2707-5184 International Journal of Scientific Studies Publishing

[118] [سورة ابراهيم: الآية 39].

[119] المرادي، الجنى الدّاني، ص: 476.

[120] ابن السيّد البطليوسي، الاقتضاب، ج 2، ص: 270

[121] ابن مالك، شرح التّسهيل، ج 3، ص: 163.

[122] المرادي، الجنى الدّاني، ص: 477

[123] [سورة الحجّ: الآية 37].

[124] [سورة القصص: الآية 15].

[125] ابن السيد البطليوسي، الاقتضاب، ج 2، ص: 282

[126] المرادي، الجنى الدّاني، ص: 478.

[127] [سورة المومنون: الآية 5 – 6].

[128] [سورة المطفّفين: الآية 2].

-أن تكون بمعنى عند :أثبت لها هذا المعنى الزّركشي[129]، ونجد له مثالا في المثال التّالي:

105.﴿ وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنبٌ ﴾[130]. أي: ولهم عندي ذنب.

106.﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ ﴾[131]. أي: إنّما التّوبة عند الله.

-الاستدراك :يقصد بالاستدراك: إبعاد المعاني الفرعية بالحرف "على" عن عموم كلام سابق، وإبطال ما يرد منها لإثبات كلام بعدها[132]. وأثبت لها هذا المعنى ابن هشام[133]، ومثّل له بقوله:

107. فلان لا يدخل الجنّة لسوء صنيعه، على أنّه لا ييأس من رحمة الله تعالى.

-الشّرط :أثبت ابن الجوزي للحرف "على" معنى الشّرط، ومثّل له بقوله تعالى . حكاية عن شعيب مع موسى عليهما السّلام:

108.﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ﴾ .[134]

أي: شريطة أن تخدمني ثماني سنوات.

-الإلزام :لنلاحظ المثالين التّاليين:

109.﴿ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ ﴾ .[135]

110.﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلً ﴾.[136]

تستعمل "على" في الآية (110) للدّلالة على الإلزام. أي: وجوب الحجّ.

يتّضح من عرضنا لمعاني "على" في الكلام العربي، أنّها من أكثر حروف الجرّ مشاركة للحروف الأخرى في تأدية المعاني نفسها، وذلك كاشتراكها مع الحرف "مع" في تأدية معنى المصاحبة، ومع الحرف "في" في تأدية معنى الظرفية، والحرف "عن" في تأدية معنى المجاوزة. وهو ما يثبت فرضية العلاقة القائمة بين حروف الجر ودلالاتها، وينفي استقلال حرف الجرّ بمعانيه عن بقية حروف الجرّ الأخرى.

نستخلص بعد عرضنا لدلالات حروف الجر ومعانيها، أنّ كثيرا منها يتعدّد ما تفيده من معان، كما يشترك أكثرها في إفادة المعاني نفسها، حيث إنّ معنى واحدا قد يؤدّيه أكثر من حرف، كما قد يفيد الحرف الواحد معان عديدة، وهو ما يثبت العلاقة الرابطة بين حروف الجرّ، وينفي استقلال الحرف الواحد بمعانيه عن بقية الحروف الأخرى. لكن، يبقى الإشكال مطروحا، ما دمنا لم نناقش تفسير النّحاة والبلاغيّين لظاهرة الاشتراك والتعدّد في المعنى. وهو ما نجيب عنه في الفقرة التّالية.

تركيب.

نستخلص ممّا عرضناه في فقرة، معاني حروف الجرّ، تعدّد الدّلالات الّتي تفيدها حروف الجرّ داخل البنية العربية، كما نستنتج اشتراك حروف الجرّ في الإحالة على المعاني نفسها. ونلخّص ما توصّلنا إليه باعتماد جدول توضيحي نبيّن فيه بطريقة واضحة، التّعدّد والاشتراك في دلالات حروف الجر:

[129] الزّركشي، البرهان، ج 4، ص: 285

[130][سورة الشّعراء: الآية 14.]

[131][سورة النّساء: الآية 17.]

[132] عباس حسن، النحو الوافي، ج 2، ص: 510

[133] ابن هشام، المغني، ص: 190

[134] [سورة القصص: الآية 27]

[135][سورة آل عمران: الآية 40].

[136] [سورة آل عمران: الآية 97].

المعاني	من	إلى	عن	على	اللّام	الباء	في
السّببية	X		X	X	X	X	X
المصاحبة		X		X		X	X
الظّرفية				X	X	X	X
البدلية	X				X	X	
المجاوزة	X		X	X		X	
الاستعلاء			X	X		X	
ابتداء الغاية	X			X			
انتهاء الغاية		X			X	X	X
التبعيض	X					X	X
التّوكيد	X				X	X	X
الملكية		X			X		
الإلصاق						X	
الاستعانة						X	
التّعدية						X	
المقابلة						X	
التعجّب					X		
الصّيرورة					X		
الاستغاثة					X		
التّبليغ					X		
القسم						X	
التّشبيه							

حروف الجرّ العربية بين النّيابة والتّضمين الاستعارة التبعية.

نستخلص من الفقرة السّابقة، أنّ كثيرا من حروف الجرّ، يتعدّد ما تفيده من معان، كما يشترك أكثرها في إفادة المعاني والدّلالات نفسها، حيث إنّ معنى واحدا قد يؤدّيه أكثر من حرف، كما يفيد الحرف الواحد معان عديدة، وهو ما يثبت العلاقة الرّابطة بين حروف الجرّ، وينفي استقلال الحرف الواحد بمعانيه عن بقية الحروف الأخرى. يبقى الإشكال مطروحا، ما دمنا لم نناقش تفسير النّحاة والبلاغيّين لظاهرة الاشتراك والتعدّد في المعنى. وهو ما نجيب عنه في هذه الفقرة.

يحمل اللّغويون هذا على أحد الأمور الثلاثة :[137]

1. استعارة الحرف الّذي يتعدّى به الفعل لمعنى الحرف الذي كان ينبغي أن يتعدّى به، على طريقة الاستعارة التّبعية.
2. تضمّن الفعل معنى فعل آخر يتعدّى بحرف الجرّ المذكور.
3. نيابة حرف جرّ عن آخر.

1.2 الاستعارة التّبعية في حروف الجرّ.

يحمل اللّغويون ظاهرة اشتراك حروف الجرّ في الدّلالات على أمور ثلاثة. من بينها: استعارة الحرف الّذي يتعدّى به الفعل لمعنى الحرف الذي كان ينبغي أن يتعدّى به، على طريقة الاستعارة التّبعية، مثل استعارة "في" لمعنى "على" في الآية الكريمة: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ .[138]

1.1.2 تعريف الاستعارة التّبعية.

تعتبر الاستعارة – حسب ما جاء في الإيضاح - كلاما مجازيا، أصله تشبيه حُذف منه كلّ من وجه الشبه، وأداة التشبيه، وأحد ركنيه[139]: المشبّه، أو المشبّه به. وذلك بسبب علاقة مشابهة بين المعنى الأصلي والمعنى الجديد، على أن يقترن ذلك بقرينة تحول دون اتّجاه الذّهن إلى المعنى اللّغوي الأصلي. نجد للاستعارة في كتب البلاغة تقسيمات كثيرة، يهمّنا منها في هذه الفقرة، تقسيمها - باعتبار اللّفظ - إلى استعارة أصلية واستعارة تبعية. فإذا كان اللّفظ المستعار له اسم جنس، سواء أكان اسم عين أو اسم معنى، فالاستعارة فيه أصلية، لأنّ هذا اللّفظ ثابت مستقلّ بمعناه. وإذا كان اللّفظ المستعار له غير ذلك، كالأفعال والصفات والحروف، فالاستعارة فيه تبعية لأنّها غير ثابتة[140]. ويعتبر ابن هشام الاستعارة في الحروف تبعية، وعلّة ذلك أنّ الحروف لا معنى لها في نفسها بل في غيرها، وبالتّالي فالاستعارة فيها تقع في متعلّقات معانيها.

2.1.2. الاستعارة التّبعية في حروف الجرّ.

يعتبر ابن هشام الاستعارة في الحروف تبعية، وعلّة ذلك أنّ الحروف لا معنى لها في نفسها بل في غيرها. وبالتّالي فالاستعارة فيها تقع في متعلّقات معانيها. وفي هذا الصّدد، نجد لابن هشام في المغني كلاما يرى فيه أنّ استعمال حرف مكان آخر يُحمل على تأويل يقبله اللفظ، وهو استعارة الحرف الّذي تعدّى به الفعل لمعنى الحرف الّذي كان ينبغي أن يتعدّى به، على طريقة الاستعارة التّبعية[141]. وذلك مثل استعارة الحرف "في" وهو للظرفية، لمعنى الحرف "على" الدّال على الاستعلاء. مثال:

111.﴿ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ ﴾ .[142]

IJSSP
المجلة الدولية لنشر الدراسات العلمية
المجلد السابع – العدد الثالث – البحث ارابع (ص: 55 - 99)
15 – كانو ن الأول – 2020 م
www.ijssp.com ISSN: 2707-5184 International Journal of Scientific Studies Publishing

[137] ابن هشام، المغني، ص: 150 . 151.

[138][سورة طه: الآية 71]

[139] القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ص: 285 . 286.

[140] القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ص: 304 . 305.

[141] ابن هشام، المغني، ص: 150.

[142] [سورة طه: الآية 71].

IJSSP
المجلة الدولية لنشر الدراسات العلمية
المجلد السابع – العدد الثالث – البحث ارابع (ص: 55 - 99)
15 – كانو ن الأول – 2020 م
www.ijssp.com ISSN: 2707-5184 International Journal of Scientific Studies Publishing

يؤدّي الحرف "في" في الآية (111) معنى ليس بمعناه الحقيقي، وهو: الاستعلاء. ويؤدّي هذا المعنى في الأصل حرف آخر مختصّ به، هو: "على". يتّضح أنّ هذه التّأدية ليست على سبيل الحقيقة، وإنما هي على سبيل المجاز. حيث تتوفّر للحرف "في" الشّرطان لصحّة استعمال المجاز، وهما: العلاقة بين المعنى الأصلي والمعنى الجديد، القائمة على التّشابه بينهما. إذ شُبِّه المصلوب بالنّخلة لتمكّنه من الجذع. فدلالة الظرفية بما تقتضيه من تمكّن وثبات، شبيهة بدلالة الاستعلاء الّتي يقتضي التمكّن والثبات أيضا. نستخلص أنّ استعمال الحرف "في" الدّال على الظّرفية مكان الحرف "على" الدّال على الاستعلاء، جاء بسبب التّشابه المعنوي الّذي يجمع بينهما، وهو معنى التّمكّن والثّبات في كلّ منهما، والقرينة الدالّة على أنّ "في" مستعمل في غير ما وضع له، هو وجود الفعل "أصلِّبُ"، لأن التّصليب لا يقع في داخل الجذع، وإنّما يقع فوقه، فهذه القرينة هي المانعة من إرادة المعنى الأصلي الحقيقي، وهذا على طريقة الاستعارة التّبعية. ونعثر للزّمخشري في الكشّاف على تفسير لهذه الآية الكريمة يقول فيه: " شبّه تمكُّن المصلوب في الجذع بتمكّن الشّيء الموعى في وعائه"[143]. نتأمّل المثال التّالي:

112. ﴿ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ ﴾.[144]

نتبيّن من المثال (112) أنّ معنى الاستعلاء في المركّب الحرفي "على هدى" هو: تمكّنهم من الهدى واستقرارهم عليه وتمسّكهم به. لذلك، شُبِّهت حالهم بحال من اعتلى الشيء وركبه. فكلمة "على"، استعارة تبعية، إذ شُبِّه تمسّك المتّقين بالهدى باستعلاء الرّاكب على مركوبه في التمكّن والاستقرار.

تركيب.

نستنتج ممّا عرضناه، أنّ استعمال حرف مكان آخر، يعود . حسب ابن هشام والزمخشري . إلى استعارة حرف لمعنى حرف آخر. وتعتبر هذه الاستعارة تبعية، لأنّ الحروف لا معنى لها في ذاتها، وبالتّالي فالاستعارة فيها تتعلّق في متعلّقات معانيها. وإنّ تأدية الحرف لمعنى آخر ليس بمعناه الحقيقي هي على سبيل المجاز لا الحقيقة، إذا توفّر للحرف المستعار شرط علاقة المشابهة، بين المعنى الأصلي والمعنى الجديد.

2.2 التّضمين في حروف الجرّ بين الحقيقة والمجاز.

يحمل اللّغويون ظاهرة اشتراك حروف الجرّ في الدّلالات على أمور ثلاثة. من بينها: تضمّن الفعل معنى فعل آخر يتعدّى بحرف الجرّ المذكور.

1.2.2 التضمين لغة واصطلاحا.

أ. التّضمين لغة.

[143] الزّمخشري، الكشاف، ج 2، ص: 546،

[144] [سورة البقرة: الآية 5]

نجد لمفهوم التّضمين في بعض معاجم اللّغة العربية وقواميسها، معنى الاشتمال والاحتواء. جاء في لسان العرب لابن منظور: ضَمَنَ الشَّيْءُ الشَّيْءَ يَضْمَنُه ضَمَاناً. فالأوّل ضامن والثّاني مضمون، لأنّه إذا ضَمَنَهُ اسْتَوْعَبَهُ. والضَّمْنُ باطن الشيء وداخله[145]. نقول: فهمتُ من ضِمْنِ كلامكَ، أي: فهمتُ من محتواه ومراميه[146]. ونقول: فهمت ما تضمّنه الكتابُ، أي: ما اشتمل عليه وكان في ضمنه[147]. ونقول: ضمّنتُكَ الشّيءَ، أي: أودعتُكَ إيّاه"، وذلك كما تودع المتاع في الوعاء. وكلّ شيء جعلتَه في وعاء فقد ضمَّنتَه إياه، وهو جعلُ الشيءِ في شيءٍ يحتويه[148]. لو تأمّلنا المعاني اللّغوية لكلمة "ضَمَنَ" والّتي منها "التّضمين"، نجد في كلّ منها ما يدل على التخفّي والاستتار، واشتمال الظّاهر على ذلك المُضمر والمَخفيّ والمستتر. وهذه المعاني تُعتبر هي نقطة الانطلاق للتّعريف الاصطلاحي للتّضمين النحوي.

ب. التّضمين اصطلاحا.

تتجاذب مصطلح التّضمين ثلاثة علوم لغوية عربية، وهي: النّحو والعروض والبيان. استعمل النّحاة التّضمين للدّلالة على الكلمة الّتي تدلّ على معنى غير معناها الوضعي، واستعمله علماء العروض للدّلالة على أنّ قافية البيت متعلّقة بما بعده[149]، واستعمله أيضا علماء البديع للدّلالة على أنّ الشّاعر قد اقتبس نصّا لغيره بلفظه ومعناه[150]. إلاّ أنّ هذه الفروع ليست موضوع دراستنا. وما يهمّنا منها في هذه الفقرة هو التّضمين النحوي الّذي سنفصّل في ذكر أنواعه وفائدته، بما يتعلّق مع موضوع حروف الجرّ في اللّغة العربية.

2.2.2 التّضمين في حروف الجرّ.

خصّص بعض النّحاة العرب القدماء لظاهرة التّضمين في اللّغة العربية أبوابا وفصولا من كتبهم، واختلفوا في تسميتهم لباب التضمين. إذ نجد ابن جنّي يورد التضمين في باب (استعمال الحروف بعضها مكان بعض). أو في باب (دخول بعض حروف الصّفات بعضها مكان بعض) كما أوردها ابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن. واتّفق بعض النّحاة على تعريف واحد للتّضمين النّحوي، وأجمعوا على الفائدة الّتي يؤديها في الكلام. حيث نجد التّعريف الاصطلاحي عندهم للتّضمين: إشراب لفظ معنى لفظ آخر وإعطائه حكمه[151]. وجاء في كشّاف الزّمخشري: التّضمين أن تَقصِد بلفظ فعل معناه الحقيقي ويلاحظ معه فعل آخر يناسبه ويدل عليه بذكر شيء من متعلقاته. يتّضح جليا أنّ التّعريف الأوّل – وهو لابن هشام - أشمل وأعمّ من التّعريف الثّاني الّذي جاء عند الزّمخشري في الكشّاف. حيث إنّ كلمة (لفظ) تشمل الفعل والاسم والحرف. أما كلمة (فعل) فهي مقصورة فقط على الأفعال. ونشير إلى أنّ ابن جني يطلِق على التّضمين مصطلح "التوسّع"، إذ يقول: "اِعلَم أنّ الفعل إذا كان بمعنى فعل آخر وكان أحدهما يتعدّى بحرف والآخر بآخر فإنّ العرب قد تتّسع فتوقع أحد الحرفين موقع صاحبه إيذانا بأنّ هذا الفعل في معنى ذلك الآخر، فلذلك جيء معه بالحرف المعتاد مع ما هو في معناه"[152]. لنتأمّل الآية التّالية:

113. ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ ﴾ .[153]

الأصل أنّنا لا نقول رفثت إلى المرأة، وإنما: رفثت بها أو معها، لكنّه لمّا كان الرّفث هنا بمعنى الإفضاء، وكُنّا نُعَدِّي أَفْضَيْتُ بالحرف "إلى"، جئنا بالحرف "إلى" مع الرفث إيذانا وإشعارا أنه بمعناه.

3.2.2 فائدة التضمين.

[145] ابن منظور، لسان العرب، ج 4، ص: 1610 . 1613 (ضمن)

[146] ابراهيم مصطفى، المعجم الوسيط، ج1، ص: 545

[147] اسماعيل بن حماد الجوهري، صحاح العربية، ج6، ص: 2155 . 2156

[148] أحمد بن فارس الرازي، مقاييس اللغة، ج3، ص: 292

[149] السكّاكي، مفتاح العلوم، ص: 143.

[150] ابن رشيق القيرواني، العمدة، ج 1، ص: 322.

[151] ابن هشام، المغني، ج2، ص: 685.

[152] ابن جني، الخصائص، ج2، ص: 308

[153] [سورة البقرة: الآية 187].

يفيد التّضمين الإيجاز والاختصار في الكلام، وهذا أصل من أصول البلاغة العربية. إذ تؤدّي كلمة واحدة معنى كلمتين. ونجد في هذا الإطار، كلاما للزّمخشري في الكشّاف يرى فيه أنّ الغرض من التّضمين إعطاء مجموع معنيين[154]، وهذا أقوى من إعطاء معنى فذّاً. لنتأمّل هذا المثال:

114. ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ ﴾.[155]

الأصل أنّنا لا نقول: "تأكلوا أموالهم إلى أموالكم"، لكنه لما كان "أكل المال" هنا بمعنى ضمّ الشيء إلى الشّيء، وكُنّا نُعَدِّي ضَمّ بالحرف "إلى"، جئنا ب"إلى" مع أكل المال إيذانا وإشعارا أنه بمعناه، أي: ولا تضمّوها إليها آكلين.

بعد هذا العرض لمصطلح التّضمين نستطيع أن نلاحظ ثلاث فوائد من حصول التّضمين في الكلام، وهي:

- الاختصار والإيجاز.
- قوّة المعنى وبداعته.
- الاتّساع والتفقّه في اللّغة.

الاختصار والإيجاز.

يترتّب عن الاختصار والإيجاز فصاحة في المعنى. فالتّضمين كلّه إيجاز ومثاله "بسم الله الرحمن الرحيم"، لأنها تتضمّن تعليم الاستفتاح في الأمور باسمه على جهة التّعظيم لله والتبرّك باسمه.[156]

قوّة المعنى وبداعته.

يشرح السامرّائي فائدة قوّة المعنى وبداعته بقوله: "وفائدة التّضمين إعطاء مجموع المعنيين. فالفعلان معا مقصودان قصدا وتبعا"[157]. ويقول ابن هشام: "فائدته .أي التضمين .أن تؤدّي الكلمة مؤدى كلمتين"[158]. نفهم من قولي السامرّائي وابن هشام أنّ ارتباط الفعل بحرف جرّ لا يناسبه لا يأتي اعتباطا، وإنّما يأتي هذا التّركيب ليُنَبِّهُنَا إلى وجود فعل آخر مستتر اشتمل عليه الفعل الظّاهر، ويتناسب هذا الفعل المستتر مع القرينة أو مع حرف الجرّ الموجود.

الاتّساع والتفقّه في اللّغة.

يشير إلى فائدة الاتّساع والتّفقّه في اللّغة، ابن جنّي في الخصائص، إذ يقول: "ووجدت في اللّغة من هذا الفنّ شيئا كثيرا لا يكاد يحاط به، ولعلّه لو جمع أكثره لجاء كتابا ضخما وقد عرفت طريقه، فإذا مرّ بك شيء منه فتقبله وأُنَس به، فإنّه فصل من العربية لطيف حسن يدعو إلى الأُنس بها والفقاهة فيها[159]. نتبيّن من هذا القول، أنّ الفقاهة الّتي يقصدها ابن جنّي تأتي من خلال إعمال الفكر في الشّاهد المشتمل على التّضمين والبحث عن خفايا المعنى ودلالته في ذلك الموضع من السّياق. إذن فائدة التّضمين تتلخّص في أنّه يضفي نوعا من البلاغة والفصاحة على الكلام زائدا عمّا كان في الأصل مع الاختصار والإيجاز.

4.2.2 أنواع التضمين.

نجد للتّضمين النّحوي في كتب النّحو والبلاغة ثلاث صور رئيسيّة:

[154] الزّمخشري، الكشّاف، ج 2، ص: 288.

[155] [سورة البقرة: الآية 188]

[156] خالد فزاع، التّضمين في العربية، ص: 30.

[157] فاضل صالح السامرّائي، معاني النحو، ج1، ص: 11.

[158] ابن هشام، المغني، ج 2، ص: 685.

[159] ابن جنّي، الخصائص،ج2، ص: 310.

IJSSP
المجلة الدولية لنشر الدراسات العلمية
المجلد السابع – العدد الثالث – البحث ارابع (ص: 55 - 99)
15 – كانو ن الأول – 2020 م
www.ijssp.com ISSN: 2707-5184 International Journal of Scientific Studies Publishing

- الأولى: يكون فيها العامل المذكور متعدّيا بنفسه، فيتضمّن معنى لازم يتعدّى بحرف جرّ.[160]
- الثّانية: يكون فيها العامل المذكور لازما، فيتضمّن معنى عامل متعدّ بنفسه.
- الثّالثة: يكون فيها العامل المذكور متعدّيا بحرف جرّ، ويتضمّن معنى عامل متعدّ بحرف آخر.

نشرح الصّورة الأولى من صور التّضمين الثّلاثة باستحضار المثال التّالي:

115.﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ ﴾ .[161]

نلاحظ من خلال الآية (115) أنّ الفعل "يخالفون" متعدّ بنفسه، إذ يمكننا القول: (يُخَالفونَ أمرَهُ)، ولكن لمّا ضُمِّن معنى الفعل "يصدُّون"، وكان فعل "صدّ" يتعدّى بالحرف "عن"، عُدِّي بما يتعدّى به. وبالتّالي تَختصر الآية معني المخالفة والصدّ عن الأمر. وهنا تتجلّى قوّة المعنى وبداعته. ومن ذلك قولنا:

116) سمع الله لمن حمده.

نلاحظ في البنية رقم (116) أنّ الفعل "سَمِعَ" متعدّ بنفسه، إذ يمكننا القول: (سمع اللهُ مَنْ حَمِدَهُ)، ولكن لمّا ضُمِّن معنى الفعل "استجاب"، عُدِّي بما يتعدّى به وهو حرف "اللّام". وبالتّالي تختصر الآية معني السّماع والاستجابة. وهنا تتجلّى أيضا قوّة المعنى وبداعته.

نشرح الصّورة الثّانية من صور التّضمين الثّلاثة باستحضار المثال التّالي:

(117﴿ وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ ﴾ .[162]

نلاحظ من خلال الآية (117) أنّ الفعل "تعزموا" لازم، إذ نقول في الأصل: (تعزموا على)، ولكن لمّا ضُمِّن معنى الفعل "تنووا"، عُدِّيَ بنفسه، لا بالحرف "على" الّذي كان الفعل "عزم" يتعدّى به. وبالتّالي تختصر الآية معني العزم والنّية. وهو ما يعكس قوّة في المعنى وبداعة.

نشرح الصّورة الثّالثة من صور التّضمين الثّلاثة باستحضار المثال التّالي:

(118﴿ وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ﴾ .[163]

نلاحظ في الآية (118) أنّ الفعل "أحسن" يتعدّى ب"إلى"، إذ نقول في الأصل: (أَحْسَنَ إِلَيَّ)، ولكن لمّا ضُمِّن معنى الفعل "لطف" الّذي يتعدّى بحرف "الباء" عُدِيَ به، لا ب"إلى" الّذي كان الفعل "أحسن" يتعدّى به في الأصل. وبالتّالي تختصر الآية معني اللّطف والإحسان. وهو ما يجسّد القوة في المعنى وبداعته.

5.2.2 التضمين بين الحقيقة والمجاز.

نجد في قضية التّضمين أقوال مختلفة، بين من يعتبرونه تعبيرا حقيقيا، وبين من يعدّونه مجازا[164]، ونلخّص آراء القدماء وأقوالهم ، كما يلي:

[160] ابن هشام، المغني، ص: 898.

[161] [سورة النور: الآية 63]

[162] [سورة البقرة: الآية 235]

[163] [سورة يوسف: الآية 100]

[164] مجلة مجمع القاهرة، ج 1، ص: 187 . 189.

يرى ابن جنّي أنّ التّضمين مجاز مرسل، لأنّ اللّفظ مستعمل في غير ما وضع له، لعلاقة بينهما (المشابهة)، وقرينة تمنع من إرادة المعنى الأصلي، ويشاركه في الرأي، الإمام الزّركشي[165]، بحُجّة أنّ اللّفظ لم يوضع للحقيقة والمجاز معا، والجمع بينهما مجاز خاص يسمّونه بالتّضمين، تفرقة بينه وبين المجاز المطلق. يريد الزّركشي بقوله أنّ التّضمين مجاز خاصّ يندرج تحت مطلق المجاز ولا يكون مجازا بمفهومه العامّ. يرى الزّمخشري في الكشّاف، خلافا لابن جنّي والزّركشيّ، أنّ التّضمين فيه جمع بين الحقيقة والمجاز، لدلالة المذكور على معناه الحقيقي بنفسه، وعلى معنى المحذوف بالقرينة اللّفظية الّتي غالبا ما تكون حرف الجرّ الواقع موقع غيره، أو المفعول الّذي تعدّى إليه العامل اللاّزم. والمقصود بكلام الزّمخشري، أنّ المعنيين معا الحقيقي والمجازي مرادان بلفظ واحد، فيراد المعنى الأصلي ليتوصل بفهمه إلى المقصود الحقيقي. نجد أغلبية النّحاة يعتبرون التّضمين من الحقيقة، لأنّ اللّفظ مستعمل في معناه الحقيقي والأصلي والمناسب، لكن قُصِد بتبعيته معنى آخر يدلّ عليه ما هو من متعلّقاته، أي: أن اللّفظ المذكور مستعمل في معناه الحقيقي، أما المعنى الآخر المحذوف والمضمّن فليس من الحقيقة ولا من المجاز.

نستنتج ممّا سبق ذكره أنّ التّضمين مجاز لغوي علاقته تدور على المناسبة، رغم أنّ علاقة المناسبة ليست ممّا نصّ عليه البلاغيون في علاقات المجاز، وبالتّالي فهو ركن مستقلّ من أركان البيان، أو هو القسم الرّابع بعد الحقيقة والمجاز والكناية. ولا بدّ من الجمع في التّضمين بين الحقيقة والمجاز وإرادة المعنيين معا من اللّفظ الواحد، بطريقة يكون كلّ منهما بعض المراد، إذ يكون أحد المعنيين تمام المراد والآخر وسيلة إليه، ولا يكون مقصودا أصالة.

6.2.2 التّضمين بين السّماع والقياس.

نستنتج من الحصيلة الّتي خرجنا بها من النّقطة السّالفة، (التضمين بين الحقيقة والمجاز)، قياسية التّضمين، ففي الأوّل أنّه مجاز مرسل، والمجاز عند البيانيين قياسيّ، وفي الثّاني أنّه جمع بين الحقيقة والمجاز، والحقيقة لا تحتاج إلى قياس. ممّا يقتضي أن يكون التّضمين قياسيّا، لأنه لا بد له من قواعد وشروط. ونعثر في همع الهوامع على كلام للسّيوطي، يقول فيه: "والأكثر على أنّ التّضمين ينقاس، وضابطه أن يكون الأول والثاني يجتمعان في معنى عُلِمَ لهما"[166]. ويقرّ حسن عبّاس بقياسية التّضمين، إذ نعثر له على كلام في النّحو الوافي يقول فيه: "والصّحيح عندهم أنّ التّضمين قياسيّ والأخذ بهذا الرّأي يفيد اللّغة تيسيرا واتّساعا" .[167]

نستخلص ممّا سبق، أنّ التّضمين في الأصل سماعيّ لا قياسيّ ثمّ صار لكثرة شيوعه كالقياس. والجدير بالذّكر هنا أنّ مجمع اللّغة العربية بالقاهرة، يرى أنّه قياسيّ[168] لا سماعيّ، بشروط ثلاثة:

1. تحقيق المناسبة بين الفعلين.
2. وجود قرينة تدلّ على ملاحظة الفعل الآخر ويُؤَمَنُ معها اللّبس.
3. ملاءمة التّضمين الذوق العربي.

تركيب.

نخلص ممّا عرضناه، أنّ استعمال حرف جر مكان آخر، يعود إلى تضمين لفظ معنى لفظ آخر وإعطائه حكمه. ويكتسي التّضمين أهمّية كبيرة عند القدماء، لأنّه يفيد الكلام اختصارا، والمعنى قوّة، واللّغة اتّساعا. ويُعتبر التّضمين القسم الرّابع بعد الحقيقة والمجاز والكناية، ذلك لأنه يجمع بين الحقيقة والمجاز (إرادة المعنيين معا، الحقيقي والمجازي، من الحرف الواحد)، وهو قياسيّ – حسب السّيوطي وعبّاس حسن - لا سماعيّ، بشرط تحقيق المناسبة بين الفعلين، ووجود قرينة تدلّ على ملاحظة الفعل الآخر ويؤمَن معها اللّبس. ثمّ ملاءمة التّضمين الذوق العربي.

3.2 النيابة بين حروف الجر العربية.

يحمل اللّغويون ظاهرة اشتراك حروف الجرّ في الدّلالات على أمور ثلاثة. من بينها: نيابة حرف جرّ عن حرف جرّ آخر. أي: استعمال حرف بمعنى آخر. ولكن، ليس مطلقا دون قيد، إذ في هذا الموضوع خلاف بين النّحاة. ذهب أكثر البصريّين إلى أنّ كلّ حرف من حروف الجرّ موضوع لمعنى واحد، ولا ينوب بعضها عن بعض، كما لا تنوب حروف الجزم، وحروف النّصب بعضها عن بعض، في حين يذهب الكوفيون إلى أنّ بعض حروف الجرّ قد ينوب عن بعض إذا تقارب معنياهما، وأنّ الكثير من حروف الجرّ يؤدّي عدّة معانٍ حقيقية لا مجازية[169]. لنتأمّل البنية التّالية:

119) زيدٌ بمكّة - زيد في مكّة.

نلاحظ من خلال البنية (119)، جواز نيابة (الباء) عن (في)، لأنّنا إذا قلنا: زيد بمكّة، فقد أخبرنا بالباء عن اتّصاله والتصاقه بذلك الموضع، وإذا قلنا: زيد في مكّة، فقد أخبرنا بالحرف "في" عن احتواء الموضع زيدا وإحاطته به. فإذا تقارب الحرفان فإنّ هذا التّقارب يصلح لنيابة أحدهما عن الآخر. وإذا تباين معنياهما لم يَجُزْ[170]. نفهم من هذا أنّ تناوب الحرفين في موضع واحد جائز إذا تقارب معنياهما، ويبقى كلّ حرف منهما على معناه الأصلي. وتطرّق للنّيابة من علماء اللّغة، ابن منظور في "لسان العرب" بقوله: "يقول العرب في القَسَمِ: "مِن رَبِّي ما فَعَلْتُ"، فالحرف "من": حرف جرّ، وُضِعَتْ موضع حرف الباء هنا، لأنّ حروف الجرّ ينوب بعضها عن بعض، إذا لم يتلبّس المعنى"[171]. وقال بالنّيابة من علماء البلاغة عبد القاهر الجرجاني، فقد تكلّم عن حروف الجرّ ومعانيها في كتابه (العوامل المائة النّحويّة)، حيث يحدّد لكلّ حرف معانيه، ومنها مجيئه لمعنى غيره من الحروف، كمجيء (الباء) بمعنى (من) التبعيضية[172]. وممّن رجّح المذهب القائل بنيابة حرف الجرّ عن آخر من الباحثين المحدثين، عبّاس حسن؛ وذلك لكون الأساس في الحكم على معنى الحرف بالحقيقة هو شهرة المعنى اللّغوي الأصلي المراد وشيوعه، بحيث يتبادر فهمه، وهذه المبادرة هي علامة الحقيقية. كما أنّ هذا المذهب عمليّ وسهل، وبعيد من الالتجاء إلى المجاز ونحوه من غير داع. ذلك أنّ اشتراك عدد من الحروف في تأدية معنى واحد كثير في اللّغة، ويسمّى المشترك اللّفظي. إضافة إلى ذلك، المجاز إذا اشتهر معناه في زمن ما، وشاع استعماله مع وضوح المراد منه تُنُوسِيَ أصله، واختفى ركناه، واستُغنِي عنهما وعن اسمه، ودخل فيما يسمّى بالحقيقة العرفية.

[169] عبّاس حسن، النحو الوافي، ج 2، ص: 540 . 541.

[170] ابن السرّاج، الأصول، ج1، ص: 414.

[171] ابن منظور، لسان العرب، ج 6، ص: 4282 (منن).

[172] عبد القاهر الجرجاني، العوامل المائة النحوية، ص: 95.

نشير إلى رفض عبّاس حسن، التّضمين ووقوفه منه موقف نفي وإنكار مستغنيا عنه بالمجاز باعتبار أنّ الألفاظ الّتي جرى فيها التّضمين. حسب ما جاءت به المذاهب القائلة بذلك. ليس حقيقة لغوية أصيلة[173]. لكن ما احتكم إليه لإنكار التّضمين والاستغناء عنه بالمجاز مردود لأنّ شروط التّضمين لا تنطبق على المجاز، لأنّ القرينة في التضمين لا تكون مانعة من إرادة المعنى الحقيقي، لأنّ المعنيين الحقيقي والمجازي مقصودان معا، وفي المجاز لا بدّ أن تكون القرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي. ولهذه الأسباب حرّم عبّاس حسن بالنّيابة وأشاد بها وأنكر التّضمين في حين أنّ العلماء الّذين قالوا بالنّيابة وتوسّعوا فيها، لم ينكروا التّضمين بل يرجّحونه أحيانا على القول بالنّيابة، إذا كان هو المناسب للسّياق والمعنى المراد.

وخير من فصّل في هذا الموضوع، هو ابن السّيد البطليوسي في كتابه (الاقتضاب في شرح أدب الكاتب)، قال. في باب دخول بعض الصّفات مكان بعض. (أي: نيابة بعض حروف الجرّ عن بعضها): "هذا الباب أجازه قوم من النّحويين، أكثرهم الكوفيون، ومنع منه قوم، أكثرهم البصريون، وفي القولين جميعا نظر، لأنّ من أجازه دون شرط أو قيد لزمه أن يجيز: سرت إلى زيد، وهو يريد: مع زيد، ولزمه أن يجيز: زيد في عمرو، أي: مع عمرو. ومن منع على الإطلاق، لزمه أن يتعسّف في التّأويل لكثير ممّا ورد في هذا الباب من أشياء كثيرة يبعد تأويلها على غير نيابة حرف جر عن آخر".[174]

النتائج والخلاصات

لا يمكن إنكار القول بالنّيابة، لأنّه كثر وشاع، ولا يمكن إجازته مطلقا بدون قيد، لأنه يؤدّي إلى فساد في اللّغة وإفساد، والضّابط الّذي يقيّد التناوب هو تقارب معنيي الحرفين أو تناسبهما، بحيث يصحّ وضع أحدهما مكان الآخر بدون أن يفسد المعنى المراد. أمّا إذا اختلفا وتباينا لم يجز التناوب بينهما، إلّا نادرا، وإذا وجدنا في النصّوص العربية حرفا استُعمِل في موضع حرف آخر، وهما متباينان، يجب علينا البحث عن وجه صحيح لوقوع هذا الحرف موقع غيره. وأمامنا أحد أمرين: إمّا حمله على المجاز في الحرف على طريق الاستعارة التّبعيّة، كما سبق بيانه، وإمّا حمله على التّضمين وهو كثير.

ولهذا، نرى أنّ نيابة بعض حروف الجر عن بعض جائزة، إذا تقارب معنياهما، كما بين الباء و"في"، وكذلك إذا تناسبا كما بين "من" و "عن"، وضابطهما صحّة وضع أحدهما مكان الآخر، بدون أن يفسد المعنى المراد. أمّا إذا اختلفا وتباينا بألاّ يصحّ وضع أحدهما مكان الآخر لفساد المعنى المراد، فالسبيل: إمّا الاستعارة أو التّضمين، وكلاهما يبرز لنا ما يفيده الحرف مع العامل من المعاني الدّقيقة والأسرار البلاغية.

والسّؤال هنا، إذا استعمل حرف مكان آخر وجاز تخريجه على النّيابة وعلى التّضمين، أيّ المذهبين أولى بالتّخريج و أفضل؟ للإجابة عن هذا السؤال، أسوق هنا نصّ الإمام الزّركشي، قال: "واختلفوا أيّهما أولى؟ فذهب أهل اللغة وجماعة من النّحويين إلى أنّ التّوسّع في الحرف وأنّه واقع موقع غيره من الحروف أَوْلَى، وذهب المحقّقون إلى أنّ التّوسّع في الفعل وتعديته بما لا يتعدّى به لتضمّنه معنى ما يُتعدّى بذلك الحرف أولى، لأنّ التوسّع في الأفعال أكثر"[175]. نستخلص إذن، أنَّ علماء اللّغة وجماعة من النّحاة يفضّلون النّيابة، لأنّها أسهل، وإنّ المحقّقين يفضّلون التّضمين، لأنّ التّوسّع في الفعل أكثر، وفيه إبقاء للحرف على معناه الأصلي.

لائحة المراجع.

- ابن جني، أبو الفتح عثمان: الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتاب العربي، بيروت، دت.

[173] عباس حسن، النحو الوافي، ج2، ص: 594.

[174] اليطليوسي، الاقتضاب، أ 2، ص: 262 . 263

[175] الزّركشي، البرهان في علوم القرآن، ج2، ص: 338.

- ابن السيد، البطليوسي: الاقتضاب في شرح أدب الكاتب، تحقيق مصطفى السقا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط1، 1981م.

- ابن عقيل: شرح الألفية، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، دت.

- ابن فارس، أبي الحسين أحمد: الصاحبي في فقه اللغة، تحقيق مصطفى الشويحي، مؤسسة بدران للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1963م.

- ابن هشام، عبد الله بن يوسف: مغني اللّبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق مازن مبارك، دار الفكر، بيروت، الطبعة السادسة، 1985م.

- ابن يعيش، موفق الدين: شرح المفصل، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثّالثة، 1983م.

- الثعالبي، أبي منصور: فقه اللغة وسر العربية، تحقيق مصطفى السقا، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، الطبعة الثّالثة، 1972م

- الجرجاني، عبد القاهر: العوامل المائة النّحوية، تحقيق البدراوي زهران، دار المعرفة، القاهرة، الطبعة الثانية، دت.

- الرماني، أبي الحسن علي بن عيسى، كتاب معاني الحروف، تحقيق عبد الفتاح شلبي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، دت.

- الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله: البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية، 1972م.

- الزمخشري، أبي القاسم: الكشاف، دار المعرفة، بيروت، دت.

- الاسترابادي، رضي الدين: شرح الكافية، تحقيق يوسف حسن عمر، الطبعة الثانية، 1996م.

- سيبويه، أبي بشر عمرو بن عثمان: الكتاب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، 1991م.

- السيوطي، جلال الدين: همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق عبد العالي سالم مكرم، دار البحوث العلمية، الكويت، 1975م.

- الأنباري: الإنصاف في مسائل الخلاف، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، 1987م.

- المالقي، أحمد بن عبد النور: رصف المباني في شرح حروف المعاني، تحقيق أحمد محمد الخراط، مجمع اللغة العربية بدمشق، 1974م.

- المرادي: الجنى الداني في حروف المعاني، تحقيق فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل، دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الثّانية، 1983م.

- الهروي، علي بن محمد: الأزهية في علم الحروف، تحقيق عبد المعين الحلوفي